



القسم التاسع: الشيعة والأخرون (الشيعة، السنة والهندوس العلاقات الطائفية في أود)

تاریخ :: الموسم :: السنة 1415 - العدد 20

از 63 تا 84

آدرس ثابت : <http://www.noormags.ir/view/fa/articlepage/517114>

دانلود شده توسط : رسول جعفریان

تاریخ دانلود : 09/06/1396

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی (نور) جهت ارائه مجلات عرضه شده در پایگاه، مجوز لازم را از صاحبان مجلات، دریافت نموده است، بر این اساس همه حقوق مادی برآمده از ورود اطلاعات مقالات، مجلات و تأثیفات موجود در پایگاه، متعلق به "مرکز نور" می باشد. بنابر این، هرگونه نشر و عرضه مقالات در قالب نوشیار و تصویر به صورت کاغذی و مانند آن، یا به صورت دیجیتالی که حاصل و بر گرفته از این پایگاه باشد، نیازمند کسب مجوز لازم، از صاحبان مجلات و مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی (نور) می باشد و تخلف از آن موجب پیگرد قانونی است. به منظور کسب اطلاعات بیشتر به صفحه [قوانين و مقررات](#) استفاده از پایگاه مجلات تخصصی نور مراجعه فرمائید.



پایگاه مجلات تخصصی نور

القسم التاسع

الشيعة والآخرون:

الشيعة، السنة، والهندوس العلاقات الطائفية في أود

Shi'i, Sunni, Hindu: Communal Relations in Awadh

مقدمة

لazمت الحركات الطائفية الدينية تاريخ جنوب شرق آسيا وقد حاولت الكثير من المدارس الفكرية تفسير هذه الظاهرة، كل منها بشكل مختلف عن الأخرى، ولكن هناك ثلاث عناصر تبدو هامة بشكل عام، الأول هو أن تنظيم الجماعات الدينية للعمل السياسي قد بدأ في أواخر القرن التاسع عشر مدعوماً بالأفكار المتبادلة بين الجماعات.

والثاني هو أن زعماء الجماعات المحليين سيطروا على جماعاتهم الدينية كوسيلة لكسب القوة، والثالث هو الدور الذي قام به البريطانيون في معالجة مسألة الانقسامات الطائفية وذلك للتمكن من الحكم بشكل سهل، وهناك المحاولات التي قام بها البريطانيون في الفترة التي تلت ١٨٥٨ م، والسياسة التي اتخذوها في زيادة حدة التوترات.

وهذه الدراسة تبحث في الفترة التي سبقت إضفاء الصبغة السياسية على الجماعات الدينية تحت الحكم البريطاني، ومع ذلك فقد حدثت بعض الخطوات في المجتمع ما قبل الصناعي في أود الشيعية مما هيأ لمجتمعات دينية أكبر، وقد اتبعت حكومة أود سياسات ضارة بمصالح كل من الهندوس والسنة، وكان المقيمون البريطانيون يتدخلون في كثير من الأحيان في الصراعات الطائفية في أود، ومن الهام الكشف عن تأثيرهم على العلاقات بين الطوائف^(١).

لقد شكلت الجماعات الهندوسية الكبيرة والجماعات السنوية في أود مشاكل للعلماء الشيعة وإلى حد بسيط للدولة الشيعية.

وكان لكل من الحكام الدينيين والمدنيين اهتمام بنشر دينهم المفضل^(٢). ولكن على الرغم من ذلك فإن حكام أود والمجتهدون فشلوا في نشر المذهب الشيعي كدين للجماعات.

كذلك، فقد كان لتوارد ميلوجيات مختلفة كلية في ثقافة واحدة، مثل الوضع

(١) س. أ. بايلي: ما قبل «الطائفية»؟ الصراع الديني في الهند. (١٧٠٠ - ١٨٦٠) الدراسات الآسيوية العصرية (١٩٨٥) ص ١٧٧ - ٢٠٣.

(٢) ماكس ويبر Max Weber، الاقتصاد والمجتمع، مجلدان (بركلي ولوس أنجلوس: مط. جامعة كاليفورنيا، ١٩٧٨)، الثاني، ١١٧٤.

السريالي لمعركة كريشنا، مع كروكشتريا Kurukshetra، ومعركة كربلاء بالنسبة للحسين، كل هذا كان يتطلب توفيق بين المبادئ المتعارضة، وهو ما اتبع في الهند في الفترة الوسيطة لكنه اصطدم بالميول العقلانية للأصولية النامية.

الأهاميون والهنودوس

أظهر رجال الدين الشيعة التعصب تجاه الهندوس، على الرغم من ان حكومة أود كانت تشرك رجال الريف الهنودوس في البيروقراطية.

وقد بين بارنيت Barnett ان دولة شجاع الدولة القورية في القرن الثامن عشر كانت تدين بالكثير للمحاربين الهنودوس مثلما تدين للفرسان القزلباش من الشيعة. على أن حكام أود لم يحاولوا تبديد التناقض بين عداء العلماء للهنودوس وبين احتفالهم النسبي لدى الدولة، ومع ذلك فلما بدأ علماء الشيعة في التأثير في سياسة الدولة في فترة الأربعينات من القرن التاسع عشر، أصبحت مواقفهم تجاه الهندوس ذات أهمية، لقد كان الهندوس يشكلون ٨٧٪ من سكان أود (الذى ربما بلغ حوالي عشرة ملايين في فترة الخمسينيات من القرن التاسع عشر)، كما أن الفقهاء أو المجتهدون حاولوا الإبقاء على نقاط وطهارة الطقوس الشيعية، ورغبوها في اجتذاب الهندوس إلى التشيع.

لقد بدأ اهتمام الشيعة بالهنودوس في موطنهم، طالما أن رجال الدين الإمامية كان عليهم تحديد جماعتهم الخاصة بحيث يستبعدون الهندوس وطقوسهم، وفي عام ١٨٠٣ عرض مولوي سامي هذا النوع من المشاكل أمام السيد ديلدار علي ناصر آبادي مشيراً إلى أن معظم المسلمين في الهند يتتجاهلون شرع الإسلام، وأشار إلى أن كثيراً من الهندوس كانوا ينفقون أموالاً طائلة وطاقة من أجل مشاهدة طقوس محرم، وأراد أن يعرف ما إذا كانت هذه الجماعة من الأطهار، ليسمح لهم بالمساهمة أم لا.

وأجاب ناصر آبادي بأن المسلم الذي لا يثبت أنه ينذر أي عقيدة أساسية في الدين لا يجب أن يحكم عليه إلا بأنه مسلم، ولكن إذا كان هناك شخص ولد غير مؤمن لكن قبل كل العقائد الضرورية في الإسلام فإنه يكون كافراً حتى لو مارس الحداد على الإمام الحسين^(٣).

وقد انتقد (مولوي سامي) سلوك النساء الشيعية، وقال إن معظم النساء بل والرجال أيضاً بما فيهم الأشخاص من الطبقات النبيلة قد اشتركتوا مع الهندوس واتبعوا طرقيهم، واعتقدوا في علم التنجيم وعبادة الأوثان وكأن النساء المسلمات يعبدن الإلهة (كالي دوركا) Kali Durga في السر عندما يمرض أطفالهن.

وقد ردَّ (ناصر آبادي) بأن المرأة المسلمة لا يمكن اعتبارها مرتدة عن العقيدة إلا بعد تفحص كامل للبدع التي تمارسها.

(٣) سيد ديلدار علي ناصر آبادي، رسالة درود مذهب صوفية مخطوط في كلام الشيعة، الورقة 5b-6a، المكتبة الناصرية في لكتو برقم ١١١.

ثم استطرد فقال إن المسلم لا يعتبر مرتدًا عن الإسلام فقط لأنه اتبع بعض التصرفات الصوفية أو الهندوسية، ومن ناحية أخرى فإن الهندوسي الذي ولد من أبوين لا تربطهما رابطة زواج وتحول إلى المذهب الشيعي فإنه يعتبر شرعاً بذلك لمحبة الأئمة.

وهكذا فإن ناصر آبادي تساهاً ولم ينذر من جماعة الشيعة شخصاً شيعياً رغم أنه من الصعوبة بمكان أن يكون بينهم شخصاً من الهندوس أصله مشكوك فيـ^(٤).

أما الخصيان في البلاط فقد كانوا كأشخاص مشتركين بين الهندوسين وبين الشيعة، أما الحكام وزوجاتهم فقد كانوا يستخدمون هؤلاء الفتىـن ومعظمهم من أبناء المحاربين الهندوس الذين أسرـوا في المعارك مع الحكومة المركزية، وكانت الزوجات يحتفظن بهؤلاء الفتـيان مع الخدم في منازلـهنـ، وفي بعض الأحيـان كان يوكل لهؤلاء الفتـيان بإدارة مقاطـعـاتـ أسيادـهمـ أو جـمعـ الضـرـائبـ، وهـكـذاـ تحـولـواـ إـلـىـ مـمـالـيـكـ للـحـكـومـةـ.

ولما كان أحد البريطانيـنـ يـدعـيـ ضدـ المـاسـ عـلـيـ خـانـ وـهـوـ مـنـ كـبـارـ جـامـعـيـ ضـرـائبـ الفـلاحـينـ وـكـانـ مـمـلـوكـاـ لـدـىـ النـوـابـ سـادـاتـ عـلـيـ خـانـ، فـإـنـ الـحـاـكـمـ كـانـ يـرـفـضـ أـنـ يـتـدـخـلـ عـلـىـ أـسـاسـ أـنـ إـذـاـ ضـغـطـ كـثـيرـاـ عـلـىـ الـمـمـلـوكـ فـإـنـ الـفـتـىـ رـبـماـ نـقـلـ مـلـكـيـتـهـ إـلـىـ باـهـوـ بـيـجامـ Bahu Begam (والـدـةـ الـحـاـكـمـ)ـ فـإـيـزـ آـبـادـ وـهـذـاـ يـؤـديـ إـلـىـ خـسـارـةـ كـبـيرـةـ بـالـسـبـةـ لـلـنـوـابـ أـوـ الـحـاـكـمـ^(٥).

وإن الأصل الهندوسي لبعض السادة الأشراف الكبار من الشيعة قد أدى إلى بعض حالات الوراثة الشاذة، فقد كان بابو باشو سينغ Babu Bacchu Singh وهو ابن الأخ الأكبر الهندوسي لداراب علي خان Darab Ali Khan، يمتلك المسجد والإمام بارة لجواهر علي خان في فايز آباد^(٦).

وتشهد قضية ملكية «تحسين على»، على الروابط المستمرة ما بين الخصيان وأقربائهم من الهندوس، فقد كان المشرف على حريم آصف الدولة في فايز آباد، وكان يملك منحة من الأرض (Jagin) بالإضافة إلى مبالغ طائلة، وقد أصابـهـ المـرضـ فيـ عـامـ ١٨١٣ـ وأـخـبرـ المـقـيمـ البرـيطـانـيـ بـأـنـ يـرـيدـ كـتـابـةـ وـصـيـةـ وـدـونـ تـدـخـلـ النـوـابـ، وـتـبـيـنـ لـلـمـقـيمـ أـنـ النـوـابـ لـهـ حقـ اـسـتـعادـةـ مـنـهـ مـنـ الـهـنـدـوـسـ، وـلـمـ يـكـتـشـفـ إـلـاـ فـيـمـاـ بـعـدـ أـنـ طـبـقـاـ لـلـشـرـيـعـةـ الـإـسـلـامـيـةـ فـإـنـ لـهـ لـفـيـ لـغـيـرـ الـمـسـلـمـيـنـ أـنـ يـرـثـواـ مـنـ شـخـصـ مـسـلـمـ، وـمـاـ لـبـثـ النـوـابـ أـنـ اـسـتـعادـ مـلـكـيـتـهـ وـلـكـنـهـ تـحـتـ الضـغـطـ مـنـ الـبـرـيطـانـيـنـ قـدـمـ لـأـبـنـاءـ عـمـهـ مـنـ الـهـنـدـوـسـ نـفـقـةـ أـوـ مـعـاشـ^(٧).

وهـنـاكـ قـضـيـةـ أـخـرىـ هيـ مـوقـفـ رـجـالـ الدـيـنـ الشـيـعـةـ وـمـوـظـفـوـ الـحـكـومـةـ الرـسـميـوـنـ وـالـأـشـخـاصـ الـعـادـيـوـنـ تـجـاهـ الـهـنـدـوـسـ، وـيـمـكـنـناـ بـسـهـولةـ تـلـخـيـصـ مـوقـفـ رـجـالـ الدـيـنـ مـنـ خـلالـ

(٤) نفس المرجع، الورقة 8a، وسـيدـ عـلـيـ دـيلـدـارـ نـاـصـرـ آـبـادـيـ، نـجـاةـ السـائـلـيـنـ، مـخـطـوـطـ فـيـ الـفـقـهـ الشـيـعـيـ رقمـ 256ـ فـيـ الـمـكـبـةـ النـاـصـرـيـةـ الـورـقـةـ 32aـ 32a-bـ.

(٥) من الأرشيف، ومن أجل الماس Almas، انظر كتاب بورنيندو باسو Purnendo Basu، أود وشركة الهند الشرقية، ١٧٨٥ - ١٨٠١ (الكتـوـ: ماـكـسـوـيلـ، ١٩٤٣)، صـ ٨ - ١٣ـ.

(٦) معجم مقاطعة أود ٤٨٨ / ١.

(٧) من الأرشيف، رسالة من المقيم إلى الحكومة في الهند بتاريخ ٢٤ أغسطس، ١٨١٣ [FDPC].

موقف السيد ديلدار علي ناصر آبادي الذي ألح بأن الحكومة في أود يجب أن تتخذ إجراءات شديدة ضدهم، وقد قسم غير المؤمنين إلى ثلات فئات، الأولى الحربية وهي فئة أولئك الذين يجب أن يشن الإسلام عليهم حرباً، والثانية (الذميين) وهم الذي تقبلهم الإسلام ويدفعون ضريبة، والثالثة (المستأمين) وهم أولئك الذين منحهم حكامهم المسلمين الأمان في الحياة بشكل مؤقت^(٨).

وألح على أن الشيعة الإمامية يتقبلون اليهود واليسوعيين على أساس أقلية (ذمية)، وخالف المدارس السنة التي كانت تعتبر الهندوس أقلية ذات حماية.

وما كتبه ناصر آبادي عنهم هو ان المسلمين لا يمكنهم تقديم الحماية (الأمان) إلا في بلد يحكمها لمدة عام، وتأسف على أن الحكومة قد عاملتهم طويلاً بشكل يقدم لهم الحماية في شمال الهند، إلا أن هؤلاء الهندوس لم يتبعوا سوى دينهم الوثنى وكانوا يشربون الكحول وفي بعض الأحيان يعشقون نساء مسلمات من أقرباء السادة، ولام الحكم السنة المغول في الهند الذين لم يحاربواهم ولم يجبروهم على الدخول في الإسلام.

وكان يحل للMuslimين شرعاً أموال وحياة هؤلاء الكفار من الهندوس، وبالطبع كان هذا تفكير ناصر آبادي وموقفه كغيره من رجال الدين المسلمين، أما المفكر النقشبendi السنّي «شاه ولی الله» (١٧٠٣ - ١٧٦٢) فقد كان يريد للمغول أن يدينوا الهندوسية^(٩).

أما فقهاء المدرسة الأصولية فقد حاولوا أن يضعوا حواجز طائفية ما بين الشيعة والهندوس. وكتب السيد محمد قلي كيتوري، الذي عمل في البلاط الهندي في ميرت، بحثاً أو رسالة تهدف إلى إقناع الشيعة بمعاملة الهندوس على أنهم غير طاهرين^(١٠). وكان الشعـ الإمامـي يختلف عن السنـيـ في التـأكـيدـ علىـ عدمـ طـهـارـةـ كـثـيرـ منـ الأـشـخاصـ وـالـأـشـيـاءـ، وـمـنـهـ غـيرـ الـمـسـلـمـينـ.

فقال «كيتوري»: إن كثيراً من الشيعة الذين كانوا يجهلون الشرع الإمامي وقعوا تحت تأثير كثير من المواقف السنّية الرخوة.

وفي الثلاثينيات من القرن التاسع عشر حكم أبناء سيد ديلدار بأن المؤمن يجب أن يتتجنب الصلاة وهو يلبس خاتماً قد أعده شخص من الهندوس وإن غسل بالماء لا يزيل إلا عدم طهارته من الخارج، وهكذا فإن التعامل مع الهندوس كان يؤثر على الطهارة، وقيل إن خادم بارك Parke المسلم الذي تزوج من أرملة أحد الهندوس حوالي عام ١٨٣٠ أصر على تحول زوجته إلى الدين الإسلامي لأن تناوله الطعام معها يدنسه^(١١).

(٨) ناصر آبادي، رسالة في أحكام الأرضين، مخطوط عربي في الفقه رقم 2182، الورقة 60b-56a، مكتبة رضا، رامبور، انظر «نجمة السائلين» الورقة 23b.

(٩) سيد آثار عباس رضوي، شاه ولی الله وعصره (كانبرا: مط. معرفة، ١٩٨٠)، ص ٢٢٧.

(١٠) سيد محمد قلي كيتوري: تطهير المؤمنين عن نجاست المسكرين (لكنو، مطبعة حيدر، ١٢٦٠ هـ / ١٨٤٤)، وقد نوقشت القضية أيضاً في وقت آخر انظر (سيد حسين موسوي: ملة الآخيار في رد طهارة الكفار)، لكتون، مطبعة مظهر العجائب، ١٨٩٣.

(١١) مشرف علي لكتوني، تحقيق، بياض المسائل (لكنو، دون مطبعة، ١٢٥١ هـ / ١٨٣٦)، الأول ٢١٨، وكتاب فاني باركس Fanny Parks: تجولات في الحج (لندن، ١٨٥٠) الأول ص ١٧٠.

وسمح العلماء للشيعة بتناول الطعام مع شخص من الهندوس، وقد تساءل أحد الشيعة حول الآية القرآنية التي تقول بأن المؤمن الكامل هو الذي يطعم جاره الجائع، وهل هذا القول يعني به فقط الجيران من المسلمين، وتوجه بهذا السؤال إلى سيد ديلدار علي.

وقد أجاب مجتهد لكنو السيد ديلدار بأن الآية تعني ظاهرياً المسلمين فقط، وبأنه مسموح تناول الطعام أو تقاسمه مع شخص غير طاهر إذا كان سيموت من الجوع، وقد سمح أحد أبنائه للشيعة بتقديم الشراب للضيوف الهندوس عندما يأتون في زيارة خلال محرم.

كذلك فقد كانت المنافع المتبادلة بين الشيعة والهندوس مسموحاً بها، وأباح سيد حسين ناصر آبادي (١٧٩٦ - ١٨٥٦) وهو ابن الأصغر لسيد ديلدار علي وأحد المجتهدين الكبار، للشيعي أن يأخذ مالاً لقاء تعليم أطفال الوثنيين العربية والفارسية^(١٢).

أما مدارس السنة فلم تكن تشتراك مع الإمامية في مفهومهم عن عدم الطهارة لدى غير المسلمين وقد كانت هذه المدارس أصلاً في العراق في القرن الثامن عشر.

وكان الإعلان عن الطهارة من قبل الأصوليين العلماء بين الشيعة في أود عاماً مساعداً في اندماجهم بشكل أكبر بإحدى الأفكار الرئيسة للنظام الاجتماعي الهندي^(١٣).

وبالنسبة للهندوس كانت الطهارة الدينية والقوانين المعقدة للعلاقات الاجتماعية نوعاً من الطبقة المغلقة، فكانوا كالبراهمة بإمكانهم تقديم الطعام لغيرهم ولكن لا يقبلونه من جماعات أخرى، ونجد من ناحية أخرى أن الشيعة والحكومة الشيعية، رغم أنها كانت تستثمر وتستخدم الهندوس، إلا أنها كانت نادراً ما تضعهم.

ولكن كان العنف يحدث كثيراً بين الجماعتين خلال شهر محرم لدى الشيعة، كما حدث في جونبور Jaunpur في عام ١٧٧٦، أو في لكنو عام ١٨٠٧^(١٤)، وكانت بعض الحكومات في أود أقل تحملًا للهندوس من غيرها، ومن أمثلة ذلك ناصر الدين حيدر (١٨٣٧ - ١٨٤٢) وأمجد علي شاه (١٨٤٢ - ١٨٥٧)، فكان هذا أكثر الحكماء المعادين للهندوس.

وفي عام ١٨٢٩ أجبر الملك أحد البراهمة على الختان رغم أن عائلته عدلت عن التحول إلى المذهب الشيعي. وقال للمقيم الغاضب أنَّ له الحق في التصرف برعيته كما يشاء، لكن ريكتس Ricketts ذكر أن الحكومة البريطانية لم تكن تعرف بهذا الحق، ولما أثار الهندوس الشعب بعد ذلك بثلاثة أشهر وذلك إثر تدنيسهم أحد المساجد في ريكابجاني Rikabgani، فأرسل الملك جنوداً إلى المكان، ونهب الجنود النساء وزرعوا الخواتم من أنوفهن وخربوا المعابد الأربعية والسبعين التي كانت للهندوس في ذلك المكان، فتشرد سكان

(١٢) ناصر آبادي: نجاة السائلين، الورقة 23a، ومشرف على لكنوي، تحقيق، بياض مسائل، الثالث، ٧٤، وسيد حسين آبادي: سؤال وجواب، مخطوط غير مفهوس في الفقه الشيعي، الورقة 115b، المكتبة الناصرية بلتكنو.

(١٣) انظر رئيس دمونت Louis Dumont: نظام الطبقة واستخداماته، ترجمة Mark Sainsbury (شيكاغو، مط. جامعة شيكاغو، ١٩٧٠)، ص ٤٢ - ٤٦.

(١٤) خير الدين محمد إله آبادي، تحفة تازه، مخطوط رقم 483 الورقة 59a- 63b.

المنطقة البالغ عددهم ثلاثة آلاف، ولما كان الشغب سيتقل إلى الأماكن الأخرى فإن المقيم البريطاني تدخل لدى الملك الذي أرسل منادون في المدينة يحذرون أي شخص يزعج أحد الهندوس بالعقاب، ويمنعون من إهانة معبده^(١٥).

واعتبر أكثر حكام أود أن النظام أهم بكثير من احتفاظ الهندوس بأماكنهم، فقد حدث ذات مرة أن شخصاً من الهندوس، في نوفمبر عام ١٨٤٠، دنس مسجد زميزار Zamindar بدماء خنزير، واشتبك أبناؤه مع بعض المسلمين الغاضبين، وفي ٤ ديسمبر قتل أربعة من المسلمين بقراً ودنسوا المعابد وأضرروا بالحوانيت في كل من ياهاجاني وآيشباغ، وقد وجد الإداري البريطاني الكولونييل سليمان، في مثل هذه الفترات من حوادث العنف الطائفية سبباً أو حجة في وجوب تواجد الحكم البريطاني للهند، لكنه باللغ في وصف مثل هذه الحوادث^(١٦).

وكان الحكام الثلاثة الآخرين لأود قد استهلوا برامج تعزز سلطة وقوة العلماء الأصوليين في مجتمع شمال الهند، وقد اعتبر الشيعة ما قبل فترة رجال الدين، أن العشرين سنة التي سبقت التبعية لبريطانيا فترة أو عصر ذهبي، ومن ناحية أخرى نجد أن المؤلفين سواء من السنة أو من الهندوس كانوا يأسفون لـ «ضيق الأفق الطائفي والسياسة الدينية الملتوية» لبعض الحكام الدينيين مثل أمجد علي شاه (١٨٤٢ - ١٨٤٧)^(١٧)، وكما رأينا في القسم الثامن فإن أمجد علي شاه اتبع سياسة معادية للهندوس وأوجد دكاين للشيعة ليطرد الهندوس التجار من أعمالهم، وكان يكافئ من ناحية أخرى الهندوس من الموظفين الرسميين الذين كانوا يتبعون المذهب الشيعي الإمامي.

وكان تزويد الحكومة للفقراء الشيعة بالأموال قد شجع آلاف الهندوس على التحول إلى المذهب الشيعي في فترة الأربعينات من القرن التاسع عشر كما تشير إلى ذلك المصادر الدينية، وأبدت الحكومات الأصولية الشديدة في أود قليلاً من التفهم لما يخص الهندوس مما سبب التزاعات الطائفية كما حدث في فايز آباد، وسوف نبحث فيه فيما بعد.

وعلى الرغم من أن الشيعة ربما كانوا قد نصحوا الحكومة باتباع العنف تجاه الهندوس إلا أنهم كانوا يستنكرون التصرفات الجماعية، وقد مارس العلماء سياسة الالحاح على معاملة الشيعة للهندوس على أنهم غير طاهرين (وبهذا أثاروا الهندوس لمعاملة المسلمين بالمثل)، واعتبروا الشيعة كطائفة.

وكانوا يستخدمون الأعمال والأموال لتحويل الخدم الهندوس من المدینین والفقراء أيضاً إلى الشيعية، ولما كان الأصوليون قد حاربوا التصوف بشدة فإن كثيراً من متصرفين أو مشايخ الشيعة كانوا يتسلطون بين الهندوس وبين تلاميذهم من الشيعة، وقد كافع العلماء بشدة لمنع الشيعة من رعاية رجال الدين الهندوس، إلى زيادة الطائفية وزيادة عداء الجماعات

(١٥) من الأرشيف FDFC ١٨ جولي ١٨٢٩، ١٨ سبتمبر ١٨٢٩.

(١٦) و.هـ. سليمان: مذكرات موظف حكومة هندي (كراتشي: مط. جامعة أكسفورد، ١٩٧٣) ص ٤٨٢ - ٤٨٣.

(١٧) شافي أحمد: Two Kings of Awadh ١٨٣٧ - ١٨٤٧ (عليكرة، ١٩٧١) ص ٥٢.

الدينية لبعضها البعض.

العلاقات بين الشيعة والسنّة في أود

كان موقف كل من الدولة والمجتهدین تجاه السنّة يختلف بشدة عن نظرتهم للهندوس، فقد كانت الحكومة في أود تعتمد على الجنود من السنّة بشكل أكثر ربما في القرن التاسع عشر، وكان السنّة يسيطرُون على مجموعات الجنادل التابعة للإدارات الحكومية، وقد أيد العلماء الأصوليين التحالف بين الشيعة والسنّة ضد الهندوس واعتبروا بظهارة أولئك السنّة الذين كانوا يحبون آل النبي (وهم الأكثريّة في أود)، ومع ذلك فقد كان بعض زعماء السنّة يمتنعون لسيطرة الشيعة ويرفضون التحالف المعروض عليهم كذلك فإن التوترات بين الطبقات الاجتماعيّة وتأثير الحكم النيشابوري في مختلف المناطق في أود، بالإضافة إلى حكم البريطانيين في المناطق المجاورة، كل هذا شجع الامتعاض من قبل بعض أفراد الجماعات السنّية. وكان إصرار بعض العلماء الأصوليين على لعن الخلفاء الأوائل الثلاثة قد أغضب كثيراً من السنّة وشجع على حدوث الشغب الطائفي. وقد اهتم المسلمين في شمال الهند بالشيعة الإمامية وذلك خلال القرن الثامن عشر، ورافق انتشار المذهب الشيعي انحطاط نسبي في ثروات السنّة في آسيا الوسطى والهند المترکزة في دلهي، والمرتبطة بالامبراطورية المغولية المتداعية.

وعلى الرغم من أن بعض الشيعة قد عانوا أيضاً فقد كان بإمكانهم ممارسة ديانتهم تحت الحكم الأجنبي أكثر مما كان تحت حكم المغول السنّة، وكان السادة من الشيعة والإيرانيون والسادة الأشراف من الهند متحالفين جمِيعاً مع البريطانيين.

وكان الشيخ الصوفي شاه عبد العزيز، إبان انحطاط الحكم في دلهي يشكو من أن عدد من اعتنوا بالمذهب الشيعي قلائل^(١٨)، وقد ذكر الشيخ الصوفي «مولوي سامي»، وهو خصم سيد ديلدار علي، أنه خلال عصره لاحظ أن كثيراً من العائلات السنّية تتبع الطرق الشيعية في الصلاة أولاً وفي احتفالات الزواج والدفن وتقسيم الميراث (ووُجد بعضهم قناعة تامة في الشرع أو الفقه الشيعي)، لكن «مولوي سامي» ذكر أن رجال الدين الشيعة كانوا متأثرين إلى حد كبير بالسنّة، وهؤلاء في نظره لا يوثق بهم^(١٩)، ومع ذلك فقد ظل الشيعة أقلية صغيرة. ولما كان للمتصوفين النقشبنديين روابط وثيقة بالأفغان والأترار فقد شجب زعماء هؤلاء بشدة التغيرات في الهيئة الاجتماعيّة في القرن الثامن عشر بما فيها نهضة الشيعة، وقد رد أتباع على بقعة على الهجوم الآتي من دلهي^(٢٠).

(١٨) شاه عبد العزيز دهلوi (غلام حليم)، تحفة اثنى عشرية (كتلته، دون مطبعة، ١٢٤٠ / ١٨٢٤ م)، ص ٢.

(١٩) سيد ديلدار علي ناصر أبيادي «رد»، الورقة 3a-4a.

(٢٠) انظر مثلاً سيد ديلدار علي ناصر أبيادي: سوانح إلهية وحسام الإسلام (كتلته، ١٢١٨ / ١٨٠٣)، المناقشات الجدلية قد لخصت في كتاب سيد أطهر عباس رضوي: شاه عبد العزيز، الترمذ، الجدل الطائفي والجهاد (كانبيرا، ١٩٨٢) الفصلان ٥، ٦، ومن أجل معلومات عن فرع آخر من النقشبنديين في دلهي الذين كانوا في فترة من الفترات متدمجين في جدل حول الشيعة، انظر كتاب بقلم وارن ادوارد

وكان موضوع المجادلات يتركز على تفسير التاريخ الإسلامي المبكر والطقوس من خلال وجهة نظر تقليدية، وكانت التزاعات في داخل أود نفسها حول فضائل أو أخطاء الخلفاء السنة أبو بكر أو عمر ربما عكست التنافس على الثروة والقوة بين أصحاب الأراضي من مشايخ السنة الذين يدعون انهم من نسل الخلفاء الثلاثة الأوائل وبين السادة الشيعة الذين كانوا من نسل الإمام علي، وكثير التأليف حول المسائل الجدلية كل يدافع عن عقيدته، وكان كل من الأصوليين والإخباريين متهددين في هذا الموضوع، وقد كتب الإخباري الشريف سبحان علي خان وهو وكيل وزير ضد السنة واشترك في كتاباته مع الفقهاء الأصوليين وكان يحذر ضد محاولات السنة في تقسيم الشيعة أو في إحداث اقسامات بين الشيعة، واعتبر سبحان علي خان أنه طالما أبو بكر وعمر لم يحاربا علي بشكل مباشر فأنهما لم يقعوا في الكفر رغم أن الفقيه أو المجتهد سيد حسين ناصر آبادي قال بأنه ولو كان البعض لم يحاربوا علياً بشكل مباشر فإنهم يعدون من الكفار.

وكان موقف سيد حسين يمثل الطائفة الأصولية، فإن كلاً من سيد ديلدار علي وتلميذه قد دافعا عن مسألة لعن الخلفاء الثلاثة الأوائل في الإسلام^(٢١).

أما الفرنجي محلين مثل مولوي مبين فرنجي محلبي (توفي ١٨١٠)، وكانوا قد عمل في خدمة آصف الدولة لفترة قصيرة كقاضي في محكمة الجنایات في العاصمة، فقد كتب مرثاة (شهادت نامة) للإمام الحسين وكان يؤيد تفوق الإمام العالى^(٢٢).

وكان الشيعة أكثر تسامحاً مع السنة منهم مع الهندوس، وقد كانت أسرة ناصر آبادي وأقرباؤه يعيشون بالقرب من مدرسة السنة، فرنجي محل حيث كان يدرس الكثير من الباحثين الشيعة وذلك من أجل تفهم العلوم العقلية، أما سيد ديلدار علي فقد أصر على معاملة السنة في أود كمسلمين ومساوين للشيعة. ورغم أنه وصف الأباطرة المغول بأنه مستبدون فقد كان يدعوا إلى تقبل كل المسلمين في أود باعتبار أنهم متساوون أمام الشرع، وقد تمثل لهذا بالطائفة الإسلامية الأولى في المدينة حيث كان النبي (ص) لا يفرق بين المؤمنين الأوفى والمنافقين في المعاملات الشرعية. وقد كتب في كتاب له فيما بعد وكان موضوعه حول ملكية الأرض، فميز بين السنة (مخالفون) الذين اعترفوا بخلفاء آخرين غير علي لكنهم لم يعارضوا حول حقوق آل النبي (ص)، وبين الأعداء للأئمة من السنة (نواصب)، وقد كان يقول إن كلاً الفريقين من السنة قد أخطأ من الناحية الروحية^(٢٣).

واعتبر «سيد ديلدار علي» أن السنة الذين لم يكونوا يحملون ضغينة ضد آل البيت من الأطهار دينياً، رغم أنه ألحَّ على أن يرعى الشيعة أولئك الحرفيين من السنة. ومنع رجال

فاسفيلد Warren Edward Fusfeld «تشكل المشيخة الصوفية في دلهي، التقسيمية المجددة، من ١٧٥٠ - ١٩٢٠» : رسالة دكتوراه من جامعة بنسلفانيا، ١٩٨١.

(٢١) حيدر علي فايز آبادي: رسالة المكاتب في رؤية التائب والغرائب، مخطوط فارسي في مجموعة كورزون Curzon Coll.، رقم 1069، الورقة 8a-b, 14a-b، المكتبة الجمعية الآسيوية في لكتنه.

(٢٢) من أجل مولوي مبين، انظر رحمن علي: تذكرة علماء الهند (لكتن، ١٩١٤) ص ٢١١ - ٢١٢. وأبو طالب الاصفهاني: تفضيع الغافلين (ترجمة هوي - لكتن ١٩٧١) ص ٥٦ - ٥٨.

(٢٣) سيد ديلدار علي ناصر آبادي: أحكام الأراضين، ورقة b 13a-b 60a-b.

الدين الشيعة من أن يتزوجوا نساء من السنة النواصب وهم الذين يجاهرون بعذواتهم وشتمهم للأئمة، كذلك كانت لديهم بعض التحفظات بالنسبة للتزوج من السنة حتى من أولئك الذين يعتبرون بنظرهم من المعتدلين.

وكان فقهاء أو مجتهدوا الشيعة يعتبرون أنه رغم أن الرجل الشيعي بإمكانه الزواج من أي امرأة يهودية أو مسيحية أو مسلمة سنية، ولكن ما من امرأة من الشيعة بإمكانها الزواج من شخص غير شيعي. وكان يعتبر أن مثل هذه المصاہرات ربما تجلب أفكاراً سيئة من الناحية الدينية للعائلة، وعلى الرغم من المواقف المتشددة بين العلماء، فإن الزواج كان يحدث بين السنة والشيعة^(٢٤).

وكان الكثير من السنة يعملون في دواعين حكومة أود وأحياناً كانوا يحرزون نجاحاً كبيراً هناك، وفي عام ١٨١٥ طرد غازي الدين حيدر وزير الأول آغا مير معتمد الدولة وأوكل أمر الشؤون العامة إلى ميرزا حاجي، وعلى خان، ووكيل هذا الأخير ويدعى مير خودا بخش^(٢٥).

وقد كتب «أردستانی» Ardistani فقال إن مير خودا بخش قد ذهب إلى حد بعيد في لعن الخلفاء السنة وأمر بحفر أسمائهم على الصخور في أماكن غير نظيفة، وكان يجبر كثيراً من السنة على اعتناق المذهب الشيعي^(٢٦).

وربما كانت إحدى الوسائل التي استخدمها الخدم السنين لمحاربة «خودا بخش» ورؤساؤه هي الإعلان عن اختلاسهم من أموال الدولة^(٢٧).

وقد أفسحت الإخبارية التقليدية في تعاملها وتوافقها مع السنة الطريق أمام الأصولية، وهناك تناقض كبير في سياسة الأصوليين تجاه السنة وهو أن الفقهاء أو المجتهدین كانوا يدينون العقيدة السنية ولكن يهدون إلى إقامة علاقات منسجمة مع السنة، ولكن إصرار عوام الشيعة على لعن الخلفاء السنة وذم عقائد السنة ظل مستمراً.

السيد أحمد راي باريلي والنضالية السنوية الناهية

حصل الشيعة في أود على كثير من النفوذ والثراء، وكان أثرياء الشيعة أكثر الأشخاص الموجودين ثراءً، في حين أن فقراء الشيعة كانوا ينالون من صدقات الحكومة التي لم تكن تمنح للسنة أو الهنودس، وقد احتاج السنة على ذلك كما تحدث عن ذلك باركين^(٢٨) Rai Parkint. وتوضح الحركة الإحيائية النقشبندية التي تزعمها السيد أحمد من راي باريلي

(٢٤) سيد ديلدار علي ناصر أبادي: نجاة السالبين. ص 5b-6a, 16b، مشرف علي لكتوي: بياض مسائل ٢٦، ٢٦/٣.

(٢٥) سيد عباس أردستانی، الحصن المتن في أحوال الوزراء والسلطانين، مجلدان، مخطوط 235a, 235b الاول ص ٤٥ - ٤٦، الأرشيف القومي الهندي، نيودلهي.

(٢٦) بهادر سينغ: يادکاری بهادری، مخطوط فارسی بأرشيف إله آباد 255، الورقة 605b. وأردستانی: الحصن المتن الاول ص ٤٥ - ٤٦.

(٢٧) اردستانی: الحصن المتن ١/٤٥ - ٤٦.

(٢٨) ف. باركين: الماركسية ونظرية الطبقات (نيويورك، مطبعة جامعة كولومبيا، ١٩٧٩) ص ٧٤.

Bareli في الفترة ما بين عامي ١٨١٧ - ١٨٣١، تأثير الطائفية ذات الأسلوب الذي يعود إلى دلهي على مجتمع أود، ورغم أن للحركة تأثير على بشاور أكثر مما له على أود، فهناك بعض التعليقات عليها هنا، فقد كان السيد أحمد المولود عام ١٧٨٦ من أسرة في أود تنتمي إلى مدينة راي باريلي وهي ذات تاريخ يدل على قيامها بأعمال عسكرية في الخارج والخدمة كلياً كمشايخ صوفية^(٢٩)، وكان ضمن تلامذ الصوفيين أشخاص أفغانيين من المدن المجاورة، وفي القرن الثامن عشر كان الجنود من الأفغان قد قدموا إلى أود وجلبوا معهم شعوراً معادياً للشيعة من بلادهم، وفي أوائل القرن التاسع عشر كان الشيعة في بشاور لا يستطيعون الإقرار بعقيدتهم، وكان الأكثريّة من السنة يمنعونهم من اتخاذ النصب التكريمية لمرقد الإمام الحسين^(٣٠)، وقد اندمجت الجماعة العسكرية الأفغانية في الثقافة المحلية، وشكلوا تحالفاً مع العائلات الإسلامية القديمة بواسطة الاتصال بأصحاب الطرق الصوفية المحلية، وبدأت الطريقة النقشبندية المتمرضة في وسط آسيا منذ القرن الثامن عشر، بدأت في تركيز دعائهما بين بعض السادة في ضاحية « Rai باريلي »، وقد اتبع بعض السادة الآخرون المذهب الشيعي^(٣١).

وكانت الصوفية النقشبندية رابطة في العلاقات بين النخبة السنّية التي أخذت تضم حل في القصبة، وبين الأفغان الجدد، أما في شمال الهند حيث المعاملات الشيعية والهندوسية أحدثت تأثيراً كبيراً على المسلمين المحليين، فقد أخذ يبدو أن هناك نوعاً من الإصلاحية من جهة خير Khyber.

وعلى الرغم من أن راي باريلي كان في منطقة بيسوارا Baiswara فإن الجماعات السنّية المسلحة المتمرضة في المدن الصغيرة عانت من تدهور مالي في أوائل العشرينات من القرن التاسع عشر، كذلك فقد عانت الكثير من القصبات في شمال الهند من نفس المصير^(٣٢).

ووجد أحد الباحثين ويدعى (باتر) Batter في عام ١٨٣٠ أن (Rai باريلي) أصبحت مدينة ضعيفة لا تحوي من السكان إلا ٨ آلاف نسمة، ومنهم فقط حوالي ٥٠٠ - ٦٠٠ مسلم، وقد انخفض المستوى الاقتصادي لها، ووجد بضعة معابد هندوسية جديدة مما يفسر بعض الثراء في المجتمع، إلا أنه لم يلمس وجود مساجد جديدة، وكانت المتطلبات المتزايدة لكتاب جامعي الضرائب (شاكلادار) Chakladars الذين عينوا في لكنو وقد أجبر التجريد من الملكية الرأسمالية من ماهاجان Mahajan لمعادرة البلاد، كذلك فإن ملأك الأرضي في المنطقة لم يسمحوا بجعل الطرق المائية المتاحة ل Rai باريلي، مستعملة للتجارة بسبب الضرائب العالية التي كان على السفن دفعها للمرور في أراضيهم^(٣٣).

(٢٩) من أجل سيد أحمد راي بريلوبي، انظر أ.أحمد: دراسات في الثقافة الإسلامية في البيئة الهندية (أوكسفورد، ١٩٦٤) ص ٢٠٩ - ٢١٧.

(٣٠) تاريخ مملكة كابل تأليف م.إلفستون، مجلدان (كراتشي، طبعة معادة) ١٩٧٢، الاول ص ٢٦٩ - ٢٧٠، وص ٤١٧.

(٣١) مثلاً: أبو الحسن ناصر آبادي (توفي ١٧٦٨)، وهو شيخ نقشبendi، انظر علي، تذكرة العلماء، ص ٣.

(٣٢) باري: المدينة الصغيرة والجماعة الإسلامية، والمدينة في جنوب آسيا (لندن، ١٩٨٠) ص ٣٠ - ٣١.

(٣٣) دونالد باتر Butter: مخطوطات طبوغرافية واحصائية لأود (كلكته: ١٨٣٩) ص ٨٨ - ٨٥، ١٣٣ - ١٣٤.

كذلك فقد عانى صغار ملوك الأراضي من السنة من الناحية السياسية، أما الفرص المتاحة للأعمال العسكرية والبيروقراطية خارج المنطقة فقد ضعفت بسرعة لدى غزو شركة الهند الشرقية لشمال الهند، وقد كان الراجا الهنودسي في تيلوي Tiloi يدفع في بيسوارا Baiswara، ضرائب منخفضة إلى لكنو وقد حصل على كثير من الاستقلال الذاتي لما ضعفت الحكومة المحلية وقد كان الرابحون هم من السادة الشيعة مثل ناصر آباد الذين أتى منهم السيد ديلدار علي، وقد اعتنق ثلاثة أرباع السادة من عائلة ناصر آباد المذهب الشيعي في القرن الثامن عشر بعد أن كافأهم بمنح من الأراضي من قبل النواب آصف الدول^(٣٤).

أما السيد أحمد الذي أصبحت أسرته في (رأي باريلى) فقيرة نتيجة لضعف وضع المدينة، فغادرها مع بعض أتباعه الآخرين وبحثوا عن أعمال بسيطة في لكنو فعملوا فيها، وأخيراً وجدوا عملاً مع أحد السادة الأشراف، ولكن السيد أحمد لم يعجبه مثل هذا العمل فغادر إلى دلهي حيث استخدم علاقات أسرته بالصوفيين ليصبح تلميذاً للشاه عبد العزيز شيخ الطريقة النقشبندية.

وفي عام (١٨١٢) تطوع في خدمة جيش النواب أمير خان مع المرترقة، الذين حاربوا الانكليز لمصلحة قبائل أو جماعة الماراتا Marathas في وسط الهند حتى عام ١٨١٧ حينما وجد السيد أحمد نفسه مرة أخرى دون عمل مريح أو مناسب بالنسبة له^(٣٥).

وقد سافر السيد أحمد خلال الفترة من ١٨١٧ - ١٨٢١ وتجول في شمال الهند كشيخ صوفي، وكغيره من المجددين في الخط النقشبendi الذي أسسه الشيخ أحمد سرهندي في القرن السابع عشر، فإن السيد أحمد رأي باريلى قد هاجم عقيدة وحدة الوجود والاستعمال إلى الموسيقى، وحاول أيضاً أن يحذف بعض الزيادات الشيعية والهنودسية لدى أتباعه من السنة، واعتبر من الخطأ تفضيل علي على الخلفاء الآخرين، أو تكرييم الإمام الحسين أكثر من غيره من صحابة النبي (ص) الأولين، وأخيراً هاجم صنع نماذج مصغرة من قبر الإمام الحسين، أما بالنسبة لمهارات الهندوس فقد شجع على زواج النساء الأرامل ومنع عبادة الأسلاف، وقد كان لحركته أثراً اجتماعياً إذ أنه اعتبر كل الرسوم المفروضة على صغار التجار والكسبة أمراً ضد الإسلام^(٣٦).

وعلى الرغم من نجاحه في اجتذاب تلاميذ له من بين الأفراد الشباب في أسرة شاه ولبي الله في دلهي، إلا أن سيد أحمد لم يكن كزعيم جماعي في أود بالرغم من مكانته عند بعض الجماعات السنوية، فقد رفض السنة (الزمين داريه) Zamindars تعاليمه الدينية، كذلك فإن مشايخ الصوفيين في سالون Salon أيضاً رفضوا مقتراحاته، وقد وجد «باتر» Butter أن المسلمين في أود كانوا أقل انجذاباً نحوه من أولئك الموجودين في روهيلاكاند Rohilkand

(٣٤) نفس المرجع، ص ١٠٩ وما بعدها، سيد محمد علي: مخزن أحمدي (أغرا، ١٢٩٩ / ١٨٨٢) ص ٤٦ - ٤٧.

(٣٥) سيد محمد علي: مخزن، ص ١٢ - ٣٤.

(٣٦) سيد محمد اسماعيل، سيرة المستقيم (دلهي، ١٣٠٨ / ١٨٩٠) ص ٤٣ وما بعدها وص ٥٧ - ٥٩، ٦٥، ٩٧.

إلى الشمال، أو في البنغال في الجنوب الشرقي^(٣٧).

وتتابع أحد تلاميذ سيد ديلدار علي نشاطات سيد أحمد في منطقة دوب العلياء Doab ويدعى هذا التلميذ شرف علي خان^(٣٨)، وذكر أن النصب التي أعدها أتباعه الصوفيين في سهارانبور Saharanpur قد أحرقت من قبل سيد أحمد، إلا أن الشيعة في المنطقة احتجوا بشدة على ذلك، ومن ثم طرده البريطانيون، فتوجه عندهم إلى ميروت Meerut، لكن القاضي البريطاني هناك كان قد سمع عنه فطلب منه مغادرة البلد. (وربما كان السيد محمد قلي كيتوري وهو موظف في المحاكم الشيعية في ميروت قد ساعده على إبعاده)، فتوجه إلى (رامبور) إلا أن العلماء السنة هنالك عارضوا تعاليمه، وكان النواب أو الحاكم في ذلك الوقت سنياً فأمره بالرحيل، فأقام فترة قصيرة في باريللي Bareilly، وبعدها عاد إلى مسقط رأسه في أود لفشلته في إيجاد قاعدة آمنة له في الهند البريطانية ولفشلته أيضاً في جذب رعاية حاكم مسلم.

وفي أكتوبر (محرم) من عام ١٨١٩ وقعت حوادث عنف في ضاحية راي باريللي Rai Bareli بين النقشبنديين الإحيائين وبين الشيعة، وكان السادة الشيعة من ناصر آباد المسيطرة قد أخبروا أبناء عمومتهم السنة الذين لم يسيطروا إلا على واحد من أحياي المدينة الأربع، بأنهم يعتزمون توجيه اللعنات بصرامة للخلفاء في حي السنة، فأرسل السنة إلى سيد أحمد في راي باريللي طلباً للمساعدة، فأجابهم بأن سيصل للمكان في مساء اليوم الثامن من محروم الذي سوف يحدث فيه اللعنات على الخلفاء، وقام بجمع جماعة من السنة من راي باريللي ومن الأفغان الذين قدموا من جهان آباد، وكانوا تلاميذاً صوفيين لأفراد أسرته منذ أجيال، وتوجه إلى ناصر آباد مصحوباً بمtti رجل.

وهنا اضطرت الشيعة وأرسلوا في طلب النجدة من لكتو، من المجتهد الأكبر السيد ديلدار علي، وكان أحد المخبرين في الضاحية قد أرسل أخباراً عن الاضطراب بسرعة كبيرة إلى الحاكم في أود وهو غازي الدين حيدر الذي حول الأمر إلى وزير الأول معتمد الدولة، الذي رغب في تطويل الاضطرابات لإقناع المقيم البريطاني بأخذ المنطقة وإعادة الأوضاع إلى ما كانت عليه من نظام، ومن ثم أرسل جنوداً من أود إلى السيد أحمد، وأمر سيد ديلدار علي بعدم التدخل، فوصل الجنود إلى ناصر آباد وأجبروا الشيعة على التعهد بعدم سب الخلفاء علينا، مما اعتبره مؤيدو السيد أحمد انتصاراً لهم^(٣٩).

وكدعوة للسلام دعا الوزير الأول السيد أحمد إلى لكتو حيث التحق بالسادة الأشراف وألقى الخطب لمدة أسبوع، إلا أن التلاميذ الأصوليين للسيد ديلدار علي والسنة من فرنجي محلي، اعترضوا عليه، وعلى الرغم من كونه شخصية بارزة إلا أنه لقي قليلاً من التجاه في

(٣٧) باتر: مخطوطات ص ١٦٤ - ١٦٥.

(٣٨) مشرف علي لكتري، إزاحة الغي في رد عبد الحي مخطوط بمكتبة المكتب الهندي (لندن) باللغة الفارسية الورقة ١٢٠b - ١١٢a.

(٣٩) سيد محمد علي: مخزن أحمدي ص ٤٦ - ٥٢.

نشر تعاليمه بين الجماعات، إلا أن البتانيون (وهم أفغان مقيمون في الهند) عبروا عن موافقتهم له، وأجبروا الحكومة الشيعية على التعامل معه بلطف، وقد نصحه رفقاء بعدم التهجم على الشيعة، وأنباء تواجده في لكتن خوفاً من العنف، لكنه مع ذلك أخذ يمدح خلفاء السنة^(٤٠)، وما لبث السيد أحمد أن رحل مع سبعينات من أتباعه إلى مكة بقصد الحج في عام ١٨٢١ ليؤكد عقيدته، وهناك التقى بالأفكار الدينية الإصلاحية لأنباع ابن عبد الوهاب من العرب لكنه كان قد اتبع خطى عقیدته الصوفية الإصلاحية.

وعاد هؤلاء إلى أود، ولكن في عام ١٨٢٧ توجهوا بحرب مقدسة ضد طائفة السيخ، وما لبث غازي الدين حيدر أن أرسل تقريراً بهذا إلى المقيم البريطاني الذي كتب حول ذلك إلى كلكتة يقول: إن شخصاً يدعى سيد أحمد قد أحدث رعباً لدى ملك أود، وهو سينضم إلى أعداء الحكومة^(٤١).

لكن حاكم أود قال إنه لن يلقي القبض على سيد أحمد خوفاً من عدم إطاعة الجند أو انضمائهم إليه، فسمح له بمعادرة أود بهدوء بعد أن أخبر الحكومة البريطانية بذلك، وبعد انتصارات خمسة سنوات في محاربة السيخ ومحاولاته تأسيس البوختون Pukhtuns إلى الشمال من مكانتهم، قتل هو وأربعمائة من مقاتليه في أيار من عام ١٨٣١ في كشمير من قبل جيش يقوده ابن رانجيت سينغ «Ranjit Singh» وبمساعدة بعض الهنود (الزامندر) الخائفين من تجنيد سيد أحمد لحوالي ٣ آلاف من الفلاحين المسلمين إلى ثورته في المنطقة^(٤٢).

وقد كانت حركة سيد أحمد راي باريلي النقشبندية «المحمدية» تمثل احتجاجاً دينياً واجتماعياً ضد انهيار القوة السياسية للسنة، وفساد المدن السنة، وخضوع الفلاحين من السنة إلى البريطانيين والهنود والسيخ، وعلى الرغم من كونه رجلاً مدنياً فقد حاول دعم الجماعات المسلمة والفالحين الذين كان يتهددهم سلطان السيخ^(٤٣)، وجعل من منطقة البنجاب مسرحاً لحركة مستقبلية ضد البريطانيين والشيعة في أود.

وقد دعمه من الناحية المالية مالكو الأراضي من الأفغانيين الذين استقروا بالقرب من دلهي، وكانوا قد استأدوا من تقدم السيخ ومن الحكم البريطاني، واستقر سيد أحمد في بيشاور Peshawar^(٤٤)، وأزعجت دولته النقشبندية الأكثريّة من الهنود في شمال الهند، وهكذا فإن بعض المحاولات من الطبقات المتوسطة والمتدنية من السنة ضد الشيعة في أود لقيت الفشل.

وكتب بعض المؤلفين فيما بعد عن التأثير المحدود للحركة في شمال الهند، ولم يلتفتوا إلى تأثيراتها على المجتمع والاقتصاد والثقافة.

(٤٠) سيد محمد علي: مخزن أحمدي ص ٥٢ وما بعدها. ومحمد جعفر تهانيري: سفينة أحمدي (lahor ٩١٤) ص ٣٣ - ٣٧.

(٤١) أرشيف حكومة الهند ٧ جون ١٨٢٦.

(٤٢) أرشيف (FDPC) ١٧ و ١٨ مايو ١٨٣١، ١٧ جنوري ١٨٣١ رقم ٣٩، ٤١.

(٤٣) انظر إ.ج. هوسباوم E.J.Hobsbawm: ثورات بداية: دراسات في الحركة الاجتماعية في القرنين التاسع عشر والعشرين، نيويورك، ١٩٥٩، الفصل ٢، ٤، ٥.

(٤٤) أشرف: الإحياءيون المسلمون ص ٧٧ - ٧٨.

القضايا السنوية، الشيعية في أود ما بين عامي ١٨٤٧ - ١٨٢٧

كانت النزاعات العنيفة بين الشيعة والسنوة في أود إبان القرن التاسع عشر قد اعتمدت جزئياً على قرارات سياسية من قبل جماعات حاكمة أو جماعات دينية، وقد أصبح الفقهاء أكثر إلحاحاً على مسألة سب الخلفاء بشكل علني، وكان هذا سبباً من أسباب العنف، وذلك بعد تأسيس دولة شيعية مستقلة عام ١٨١٩، ولما كان كثير من السنوة يحترمون آل البيت ويشاركون في عزاء محرم، فقد كان سب الخلفاء من مميزات الشيعة، وكان السبب الآخر من أسباب العنف والنزاع هو أن سلطة الحكومة لعبت دوراً، فقد كانت حوادث العنف تزيد حيث الحكومة تcum الشيعة بالقوة العسكرية، وعندما كانت الحكومة تضع جنداً لمنع حوادث العنف لدى الاحتفالات بمحرم كان العنف يقل.

أما السبب الثالث الذي أدى إلى زيادة الاشتباكات السنوة فهو الرد السنوي على إهانات الشيعة.

وحدثت اشتباكات شديدة بين السنوة والشيعة في العشرينات من القرن التاسع عشر إلا أن العنف تعادل بين جماعات أود الدينية، وقد كتبت «مسر علي» أنه أثناء شهر محرم كانت كل مدينة كبيرة في الهند تشهد مشاحنات شديدة تنتهي بسفك الدماء^(٤٥)، وترافق هذه الأضطرابات المدنية المتكررة في أواخر العشرينات من القرن التاسع عشر باختفاء في المستوى الاقتصادي في شمال الهند، واتخذ حكام أود خطأ شيعياً شديداً فلم يتلقوا كثيراً إلى تهدئة السنوة والهندوس. بل إن علماء فرنجي محل الدين كانت لهم علاقات حسنة مع الحكومة لقوا صعوبات، واضطرب أحدهم ويدعى مولانا حيدر في عام ١٨٢٤ إلى مغادرة أود بعد نزاع مع الملك حول أمور دينية^(٤٦). وفي عام ١٨٢٠ كان الوزير الأول آغا مير قد سمح بتوجيه اللعنات من قبل الشيعة في الأسواق خلال شهر محرم، وكان الشيعة أيضاً يتحدثون إلى الهندوس وكان الناس يخسرون من التجول في الأسواق، ولما كان الشجار ينشب كان البوليس الشيعي يقبض على الأشخاص الهندوس والسنوة أكثر مما يعقب الشيعة^(٤٧)، وفي عام ١٨٢٧ كان ناصر الدين حيدر وهو شيعي متشدد قد تبوأ منصب الملك.

وفي عام ١٨٢٨ تصادف شهر محرم مع شهر تموز الحار، وقد أصدر الملك تحذيراً قال فيه: «نأمر أولئك الذين لا يستطيعون تقبل اللعنات على الخلفاء، إما بترك المدينة أو الالتزام ببيوتهم»^(٤٨). وقد نشب قتال في العاشر من محرم في كربلاء مكارم نكر Karbala of Makarimnagar، حيث توجه كلّاً من السنوة والشيعة لدفن نصبهم، وتصادف أن أحد الأشخاص من جماعة ميوatisis Mewatis وهو متتحولون إلى السنوة الإسلامية من أصل

(٤٥) مسر مير حسن علي: ملاحظات حول مسلمي الهند (لندن، ١٩١٧) ص ١٤.

(٤٦) ر. علي: تذكرة العلماء ص ١٨٦، عبد الباري فرنجي محلی: آثار الأول (لكنو، ١٣٢١/١٩٠٣) ص ١١ - ١٢.

(٤٧) بهادر سينغ: يادکاری بهادری، مخطوط رقم ٢٥٥ الأرشيف الإقليمي، إله آباد الورقة 605a.

(٤٨) من الأرشيف (حكومة الهند) ٢٩ جولاي ١٨٢٨ (FDPC) و ٢٢ اوغست ١٨٢٨ رقم ١١.

هندوسي ميو Hindu Meo، وقد تذمروا من بعض الشيعة الذين التقوا بهم في كربلاء مكارم نكر، وهنا قتل أحدهم شخصاً شيعياً بطلقة رصاص، وبالتالي قتله الشيعة. فتجمع هؤلاء الجماعة من الميوatis و كانوا كلهم مسلحون وجنود في المزار المذكور بأعداد كبيرة ومثلهم الشيعة أيضاً، وقد نتج عن المعركة ستة قتلى وتسعة من الجرحى^(٤٩).

وقد غضب ناصر الدين حيدر جداً وأمر بجلب جنود الحكومة إلى حي الميوatis، الذين فروا في نفس الوقت إلى أماكن بريطانية، وأمر الملك دارو جاه مظفر علي خان بإحضار المدفعية وتخريب مساكنهم، إلا أن مير فضل علي وزيره اعتبر هذا العمل مسيئاً وعارضه في ذلك، واشتبك الجيش في قتال حتى تصاعدت سحب الدخان من عودة الميوatis Mewatis إلى اللصوصية في الأراضي البريطانية، واعتراض على الملك الذي عارض تصرفاته وقال إن الميوatis قد قاموا بعدها، وبالتالي أخذ العنف يقل، ولاحظ المقيم البريطاني أن الشيعة أدانوا سياسة الملك وأن «كل الطوائف الأخرى لديها تخوف مما يمكن أن يكون مصيرها في المستقبل»^(٥٠).

وقد دام شهر محرم في ذلك العام أكثر من أربعين يوماً نظراً لقسم كان قد أخذه على نفسه الملك ناصر الدين حيدر عندما كان مريضاً، لكن المقيم البريطاني طلب من الملك ألا يستمر في هذا مما يضايق السنة والهندوس، وأقرّ الحاكم العام أن المقيم البريطاني كان له الحق في التدخل في شؤون الميوatis وعبر عن اهتمامه بسفك الدماء في كل من لكتنو وفايز آباد^(٥١)، وفي تموز ١٨٢٩ من شهر محرم دون حوادث كبيرة، إلا أن ناصر الدين حيدر عاد فمدد فترة الاحتفالات الرسمية لمحرم إلى أربعين يوماً، وأنزع مظفر علي خان الملك بأنه يجب أن يتحدى المقيم البريطاني ليثبت سلطته واستقلاله، لكن الضغط من البريطانيين (الذين كانوا قلقين بأن العنف الديني سيشمل قواتهم)، وهكذا اضطر ناصر الدين حيدر أن يخفف من شدته في احتفالات محرم.

وعلى الرغم من أن الملك كان يتشاجن دائماً مع السيد محمد ناصر آبادي حول هذا الموضوع فإنهما كان يتفقان بعد ذلك، وقد سأله سيد محمد حول إمكانية السماح بشتم الخلفاء الثلاثة الأوائل علينا خلال شهر محرم نظراً لما يسببه هذا من منازعات، وهنا رد ناصر آبادي بأن الشيعة لا يمكنهم الرياء الديني في مجتمع يحكمه الشيعة (دار الشيعة)، وقال إنه في فترة أوائل الإسلام كان أعداءهم يشتمون الأنبياء ولم يقف أحد أمامهم^(٥٢)، وفيما بعد كتب الكولونييل سليمان «Sleeman» وهو المقيم البريطاني الذي جاء بعد ذلك في أود أن سيد محمد اعتبر أن شتم الخلفاء ضرورة دينية بالنسبة للشيعة، وقد كتب سليمان بأنه رغم أن

(٤٩) انظر م. محتمش خان: تاريخ محتمش خان، مخطوط H.L.156، ورقة 200a-198a مكتبة خودا بخشن الشرقية العامة في بانتا، ومن أجل ميوatis انظر كتاب و. كروك: القبائل والمحصنون في المناطق الشمالية الغربية وأود، ٤ مجلدات (كلكته: مطبعة الحكومة، ١٨٩٦)، الثالث ص ٤٨٥ - ٤٩٥.

(٥٠) أرشيف (٢٩) جولي ١٨٢٨).

(٥١) أرشيف (٣٠) جولي ١٨٢٨) [FDPC] و ١٢ أوغست ١٨٢٨ رقم ١٢.

(٥٢) مشرف علي لكتني، تحقيق، «يابس مسائل»، الثالث ص ٢٣ - ٢٤ ، ٩٠ .

الشيعة كانوا يرددون هذه الشتائم بصوت هامس في ظل أرض يحكمها البريطانيون خوفاً من الحكومة، إلا أنهم كانوا في أود يرددونها بصوت عال بتشجيع من الحكام الشيعة، وعبر ناصر آبادي عن عدم استحسانه بتوجيه الأشعار الهازئة والتي تهجو الخليفة السنّي «عمر»^(٥٣).

وأخذ بعض السنة في اتباع ما اتباعه الزعماء الدينيون الشيعة في فترة الثلاثيات من القرن التاسع عشر وفي عام ١٨٣٣ استقر أحد العلماء السنة من دلهي في مدينة لكنو ويدعى ميرزا أحمد فاروقى، وكان يروي مأساة كربلاء في موعظته بعد صلاة الجمعة، وقد وصلت أخبار الموعظة إلى الزعيم النتشيندي في دلهي رشيد الدين الدهلوى، فكتب رسالة إلى فاروقى يؤكد له فيها أن استشهاد الحسين ليس مسألة تخص السنة، وهنا طلب سيد محمد ناصر آبادي من العالم السنّي في لكنو أن يصدر حكماً في هذا الشأن فرد المفتى ظهور الله فرنجي محل مفتى المحكمة الدينية بحکم هو أن استشهاد الحسين أمر مشكوك فيه^(٥٤).

وهنا انتقد سيد محمد ناصر آبادي السنة الذين لم يعتبروا الحسين شهيداً، ومن اعتبروا أن الخليفة الأموي يزيد خليفة بحق، ومن قالوا بأن رواية أحداث كربلاء في الخطب تظهر عدم الاحترام لصحابة النبي (ص)، وفي هذه الفترة بالذات أخذ السنة أيضاً يمدحون نفس الأشخاص الذين لعنهم الشيعة، فكتب مولوي تراب علي لكنوي Turab Ali Lankhavi (١٧٩٨ - ١٨٦٤) رسالة حول فضائل الإمام السنّي الثالث «عثمان»، وكان قد درس العلوم العقلية إلى جيل من العلماء السنة والشيعة^(٥٥)، ومن ناحية أخرى دافع بعض الأشخاص من السنة عن الحداد على الإمام الحسين، فكتب «عبد الوحد» من فرنجي محل كتاباً، أباح فيه ممارسة حرم بالنسبة للشيعة، كذلك فقد شجع غريب شاه، شاه جهان بوري، وهو شيخ صوفي وزامن达尔 له سيل للشيعة، تلاميذه ومربيه على تشييد النصب لمرقد الإمام حتى بعد أن ترك غيرهم من البنانيين هذه الطقوس^(٥٦).

وقد أخذت تنشب منازعات بين السنة والشيعة، وذات مرات مرة صرح الشوشتري بأن الشخص غير الشيعي يلوث المسجد الشيعي إذا دخله^(٥٧)، وقطع أمعجداً على شاه (حكم من عام ١٨٤٢ - ١٨٤٧)، وهو طائفي، معاشات كل من الهندوس والسنة، واستخدم موظفون من الشيعة في وظائف حكومية رئيسية، وقد منع السنة والهندوس، لأنه كان يعتقد أنهم غير

(٥٣) ولIAM سليمان William Steeman: تاريخ الأسرة الحاكمة في أود، مطبوع مستنسخ R131، ص ٦٥٥.

المكتب الهندي، ومشرف على حان، تحقيق، بياض مسائل، الثالث ص ٢٤، عبد الحليم شرار، كذلك (لكنو، ١٩٧٤) ص ٣٦٠ - ٣٦١، مترجم، لكنو، آخر وجه لحضارة شرقية (بoulder، كولو، ١٩٧٦) ص ٢١٧.

(٥٤) سلام اللہ، «رسالة مناظرة» مخطوط فارسي، مكتبة خودا بخش الشرقية العامة في باتنا H.L.1329، الورقة 2a-b.

(٥٥) السيد محمد ناصر آبادي: ثمرة الخلافة مخطوط فارسي رقم H.L.1325، بمكتبة خدا بخش - باتنا وعلى: تذكرة العلماء ص ٣٥ - ٣٦.

(٥٦) عبد الباري فرنجي محلی: آثار الاول ص ٢٥. نوكانوی: تذكرة ص ١٧٤ - ٧٦.

(٥٧) سيد محمد عباس شوشتري، تحقيق، الفلل المحدود، مخطوط في مكتبة راجا محمود آباد، ص ٤٥٠ - ٤٠٩.

أطهار، من كتابة أسماء الله، والنبي (ص) واسم ابنته فاطمة أو الأئمة الاثني عشر على الخطابات الرسمية، واستأجر كتاباً من الشيعة لكتابه هذه الأسماء المقدسة، كذلك فقد أجبر «واجد علي» وهو الوريث الوحيد للعرش كثيراً من الكتاب السنة على اعتناق المذهب الشيعي^(٥٨).

وأدلت سياسة الحكومة في أود التي شجعها العلماء الأصوليين إلى إثارة عديد من حوادث الشغب العنيفة في فترة العشرينات والثلاثينيات من القرن التاسع عشر مما سبب الذعر للمقيمين البريطانيين، فتدخل البريطانيون لتأمين النظام، وخسروا من أن تستبعد الحكومة الشيعية الأقلية وتحل محلها دولة سنية أو هندوسية أقل لطفاً تجاه البريطانيين، كما كانوا يخشون من إمكانية هروب بعض السنين مثل الميوatisis Mewatis إلى أماكن بريطانية وتشكيل عصابات هناك.

وبعد عام ١٨٣٧ سعت حكومة أود بفعل تهديد من قبل البريطانيين إلى منع حوادث العنف بين السنة والشيعة، ففي الأربعينات من عام ١٨٤٠ عبر الشيعة عن انتصارهم من خلال الإنعام بالثروة والعمل والرعاية على الشيعة أكثر من السنة، واستثنوا السنة من المناصب المرجحة (بما فيها منصب الوزير الأول)، وأثارت تدابير الأمان في المدن كثيراً من الاستياء لكنها أثارت امتعاض السنة الذي ظهر في الصراع الطائفي في عام ١٨٥٠ عند معبد هنودسي بالقرب من فايز آباد.

النزاع حول معبد فايز آباد والعلماء الشيعيين

لقد كان هناك تنازع حول معبد هنودسي ادعى السنة المسلمين أنه كان موضعًا لمسجد سابقاً، مما أدى إلى حرب أهلية في عام ١٨٥٥، وكان على الحكومة الشيعية والفناء أن يتذدوا موقفاً، وتكون كل الجماعات الدينية الرئيسية في أود معنية بهذا، كذلك فقد تدخل البريطانيون بشدة فهل زادوا في حدة النزاعات والتوترات؟ أم أنهم قاموا بمنع اشتعال النار بين السنة والهنود؟

وقد بدأ النزاع في عام ١٨٥٥ عندما بدأ أحد السنة المتعصبين واسمه شاه غلام حسين حملة ضد المعبد الهنودسي في فايز آباد الذين كان مهدي إلى الرامايانا (هانومان) Haunman واشتبك أتباع شاه غلام في تموز من عام ١٨٥٥ مع آلاف من الهندوس في مذبحه للمتعصبين في مسجد لدى أيودهيا Ayodhya وهو ضاحية في فايز آباد، وقد أثارت أبناء هذا الصراع عاطفة كل من الشيعة والهنود في شمال الهند، وأمرت الحكومة سيد علي ديوجاتافي Deoghatavi وهو إمام الصلاة في فايز آباد بزيارة المسجد والاستقصاء، وانتهى الأمر بتعيين موظفين شيعة إداريين من فايز آباد مثل ميرزا علاء علي فاتخذوا خطوات ضد الغوغاء لحفظ

(٥٨) راما ساهايا تماننا Rama Sahaya Tamanna: أفضل التواريخ (لكنو، ١٨٧٩)، ص ٩٢، وكتاب توتا رام شایان: تواریخ نادر العصر (لكنو، ١٨٦٣)، ص ١١٢، وكتاب ج. د. بهاتناجار G.D.Bhatnagar: لکنو تحت حکم واجد علی شاہ (بنارس ١٩٦٨ ص ٥).

(٦٩).

وقد كان واجد علي شاه يستمتع بالاحتفالات الهندوسية والتمثيليات عن كريشنا Krishna لكنه شخص أصولي كان يعتقد بالحكم الشيعي والسلطة الشيعية، واستمرت عمليات التهدئة فيما بعد حيث حاول حاكم سلطانبور فايز آباد ويدعى آغا علي خان بتهئة المسلمين بينما حاول الهنودسي راجا مان سينغ Raja Man Singh أن يضبط الهندوس^(٦٠).

إلا أن محاولات الحكام التوفيق أثارت الاستياء في لكتون بين الجماعات المسلمة بما فيهم المجتهد الأول السيد محمد ناصر آبادي، ففي ٢٤ أغسطس من عام ١٨٥٥ أم صلاة اليوم المقدس في الإمام بارة الكبيرة بحضور ولی العهد والوزير الأول وكثير من السادة الأشراف المقربين إلى البلاط الحاكم، وفي النهاية شجب الحاكم آغا خان علي وكل أولئك الذين أخذوا رشوارات ليقفوا إلى جانب الهندوس، أما رد فعل سيد محمد فهو أن قال بحذر إن الدولة الإسلامية لها واجب بأن تضع نهاية لكل عمل شرير يقوم به الأشرار أو الكفار^(٦١).

وقال إن على الدولة الشيعية أن تتدخل إلى جانب المسلمين، وفي ٣٠ أغسطس كان أوترام Outram المقيم البريطاني قد التقى مع الوزير الأول علي نقی خان، وحاولت حكومة أود أن تتجنب اتخاذ أي قرار ضد المسلمين أو الهندوس أو البريطانيين وذلك بأن أوكلت الأمر كله إلى المجتهد الأول، وقد اقترحت الحكومة أيضاً أن يكون التحقيق برئاسة آغا علي خان قد أُلغي وأن يحل محله سيد محمد ناصر آبادي. كذلك ألحَّ الوزير الأول على أن دليل وجود مسجد مكان هامونان كارهي Hanumangarhi كان جيداً، إلا أن المقيم لام شاه غلام حسين وأتباعه على تشجيعهم للعنف، وسمح للمجتهد الأول بالاشراك في التحقيق لكنه طلب أن يكون القرار النهائي بيد الملك، وما لبث أن عارض أحکام ناصر آبادي التي تت وعد الهندوس، وفسر علي نقی خان بأنه ما من رد آخر^(٦٢). وفي نفس اليوم أعلنت لجنة التحقيق الحكومية استنتاجها بأنه لا يوجد مسجد في الهامونان كارهي على الأقل في فترة الخمسة والعشرين عاماً الماضية أو الثلاثين، وربما لم يتواجد إطلاقاً^(٦٣). لكن حدث هرج في لكتون وتشكلت لجان أمن إسلامية، وكان شخص يدعى مولوي أمير علي أميتهاي من بين العلماء السنة الذين كانوا يدعون للحرب المقدسة، كان هذا الشخص قد حضر من أميتي Amethi لللتقاء مع واجد علي شاه، وقد رغب الملك في تكريمه وإرسال ١٥ ألف روبيه إلى مكة من أجله وقد وعده أيضاً بتأسيس مسجد إلى جانب المعبد^(٦٤).

(٦٩) انظر كمال الدين حيدر مشهدی: قیصر التاریخ (لکن، ١٨٩٦). ص ١١٠ - ١٢٥.

(٦٠) من الأرشيف 354. Frontier Police, 20 Aug 1855, FDFC, 28 Dec. 1855, No:354.

(٦١) من الأرشيف: 8 Sept. 1855, FDFC, 28 Dec. 1855, NO 363.

(٦٢) مؤتمر بين الوزير والمقيم، ٣٠ أغسطس ١٨٥٥ FDFC, 28 Dec. 1855, No. 364.

(٦٣) الكابتن ج. ك. وستون إلى المقيم في ٣٠ أغسطس ١٨٥٥، وباتر: مخطط طبغرافيا، ص ١٦٣ [١٨٣٩].

(٦٤) كانت الدعوة من قبل علماء السنة للحرب المقدسة تشمل عبد الرزاق فرنجي محلی، وبرهان الحق ومولوي تراب علي. انظر میرزا جان: حدیقة شهداء ص ١٩ - ٢٤، وعن الصوفی عبد الرزاق انظر رحمن علي: تذكرة علماء ص ١١٨، وعن تراب علي انظر اردستانی الحضرة المتني ١٣٢/٢ ورحمن

وعاد مولوي أمير علي مرة أخرى إلى القصبة Qasabah مع مائتي رجل محتاجاً، وفشل المبعوثون في إقناعه بالعودة إلى العاصمة، لكنه رضي بالبقاء شهر واحد ليرى ما إذا كان المسجد قد استعيد إلى جانب هانومان كارهي، وكان اقتراح واجد على شاه هو بناء مسجد صغير إلى جانب المعبد وبحيث يكون مدخله من الجانب وبهذا يحفظ القدسية للهندوس في نفس الوقت الذي يكون فيه وفقاً لمتطلبات المسلمين، لكن بعض الهندوس رفضوا ذلك وهم من رجال الدين وفي نفس الوقت أخذ الملك يضغط على العلماء لدعم الحكومة في وجه التحدي الذي تتعرض له من جراء الحرب الدينية المقدسة^(٦٥).

وظن المحاربون من السنة أن الملك يعتبر الهندوس من الأقلية (الذميين) في الشرع الشيعي وأنه يعتبر أن الحرب المقدسة (الجهاد) ممنوعة خلال غياب الإمام، وربما كان واجد على يعتقد ذلك، لكن العلماء الأصوليون لم يكونوا كذلك، فأنكر سيد ديلدار على حماية الأقلية الهندوسية باعتبار أنهم من الوثنين، بينما العقيدة الحنفية بالنسبة للمغول السنة كانت توفر الحماية للهندوس، وكان الأئمة يعتبرون بالفعل أنه في غياب الإمام لا يستطيع أحد أن يقوم بحرب دفاعية، وقد كان الشيعة مع ذلك، منذ العصر البويمي يتبنون مكانة الحرب الدفاعية، وقد أكد الأصوليين في العراق وإيران على الجهاد في القرن التاسع عشر وذلك ردأً للتهديد الروسي لإيران، فسمح سيد محمد ناصر آبادي بالحرب الدينية خلال غياب الإمام حيثما هوجمت ديار الإسلام، ولم يحدث وضع كهذا في فايز آباد ومن ثم فإن الشيعة لم يعلنوا الحرب ضد الهندوس بشكل حرب دينية^(٦٦).

واستنبطت حكومة أود حكماً خاصاً من السيد محمد ناصر آبادي بسؤاله:

س: ما هي إرشاداتك تجاه أولئك الذين يذهبون إلى فايز آباد لمحاربة الهندوس؟ لأنهم يرغبون في الانتقام من أولئك الذين يتصرفون تصرفاً غير لائق تجاه المسجد والقرآن، ووفقاً للشريعة فهل يجوز لهم أن يذهبوا ويحاربوا وهل يثابون على عملهم؟ أم أن هذا لا يجوز؟

ج: إن مثل هذه الأعمال لا تجوز بدون إذن أو اشتراك السلطة الشرعية أو الحاكم الشرعي الإسلامي، والله أعلم^(٦٧).

وقد كان الحاكم الشرعي بالطبع هو الملك، في حين أن الحاكم في الشرع الإسلامي هو الإمام ولكن سيد محمد عاد في حكم آخر فرد رداً أبعد من ذلك الرد، فقد قال: «تحت هذه الظروف يكون الأمر بالجهاد غير وارد، ولكن السلطة لديها الحق في بناء المسجد ويجب على الفلاحين الهندوس ألا يعارضوا في ذلك»^(٦٨)، وقد كان ناصر آبادي يتعاطف مع حركة الجهاد، ولكنه كان يرحب في تجنب بعض الأمور بالضغط على الحاكم

علي: تذكرة ص ٣٥ - ٣٦.

(٦٥) من الأرشيف: Govt. India, 8 Sept. 1855, FDPC, 28 Des. 1855 no.360.

(٦٦) ميرزا جان: حديقة الشهداء ص ٤٠ - ٤١ وشرف علي لكتوي: بيان مسائل ٢/٨٤.

(٦٧) مشهدی: قیصر التواریخ، ص ١٠٩.

(٦٨) «فتوى من المرجع الأكبر»، من الأرشيف ٢٨ دیسمبر ١٨٥٥ رقم ٣٨٩ FDPC.

حتى يتدخل ضد الهندوس بنفسه.

وقد عارض المقيم البريطاني نداء سيد محمد للملك من دفع المال فدية أولئك المسلمين الذين قتلوا في مسجد أبودهيا Ayodhya، لكنه حاول الاستفادة من أحکامه الأخيرة بالضغط على علي نقي خان نظراً لحظر المجتهد الأكبر للحرب المقدسة، ليعلن أن المولوي وأتباعه خونة يستحقون الموت، لكن الوزير الأول حذر بأن اتخاذ أي خطوة عسكرية يمكن أن يسبب سفكًا للدماء لا داعي له، كذلك فقد أنكر واجد علي شاه لأي نية من قبله لبناء مسجد مكان الجامع بالقوة لكنه سخر بالهندوس^(٦٩).

وبحلول شهر أكتوبر سلم المقيم للملك تحذيراً بأنه سيكون مسؤولاً فيما لو سمح ببناء مسجد مجاور للمعبد أو إذا سمح للMuslimين بمهاجمة الهندوس، وفي سبتمبر كان هناك بعض أعمال سبب العنف الطائفي، وذلك خلال شهر محرم، وحدثت مشاجرات بين السنة والشيعة^(٧٠)، وفي سيهala هاجم رجال المولوي الهندوس وهاجموا المعابد لتخربيها، وقد فزع واجد علي وهنا أمر جنود من الهندوس بحراسة الهانومان كارهي^(٧١).

وتوجه مولوي أمير علي عابرًا المدن الصغيرة في طريقه إلى فايز آباد، وقد اندر واجد على حكامه وموظفيه بعقوبات شديدة فيما لو حاولوا دعم المولوي، وكان يعلم بأن جنوده من الشيعة في داري آباد Daryabad بإمكانهم المحاربة^(٧٢)، وحدثت نقطة تحول في حوالي ٢٠ أكتوبر عندما توجهت جماعة من العلماء السنة بدعم من الحكومة إلى داري آباد للتفاوض مع مولوي أمير علي. وكان بينهم بعض المستخدمين في حكومة أود مثل المفتى محمد يوسف فرنجي محلی والمفتى سعد الله مراد آبادي وقام هؤلاء بدعم الحرب المقدسة بصلابة وخلقوا شقاقاً في صفوف العلماء السنة^(٧٣).

وقام الكثير من أتباع مولوي بتهديده بالقتل إذا لم يتجه إلى فايز آباد في الحال، ولما انتهت المفاوضات في ٧ نوفمبر تقابل المحاربون مع ممثل الحكومة من الشيعة واضطروا للإذعان^(٧٤).

لقد اشتمل النزاع على الهانومان كارهي على أمور كثيرة فهناك الطبقة الاجتماعية وهناك الهوية الجينية طالما أن الحرب الدينية المقدسة كان يترأسها رجال الدين من السنة من أصحاب الطبقة المتدينة والمتوسطة وأتباعهم وقد تركوا متاجرهم أو أعمالهم للحاق بهذه الحرب وتحقيق أهدافهم.

وكان استياء هؤلاء السنة من الراجات الهندواثرية والتجار الذين دعموا هانومان

(٦٩) من الأرشيف : 26 Sept. 1855. FDPC, 28 Dec. 1855 no. 391

(٧٠) من الأرشيف : Govt.India, 20 Oct. 1855, FDPC, 28 Dec 1855. no.388

(٧١) من الأرشيف : Govt. India, 4Oct 1855, FDFc 28 1855. no.394

(٧٢) من الأرشيف : Govt. India, FDPC, 28 Dec 1855, no.417

(٧٣) من الأرشيف : Govt.India, 19 Oct 1855, FDPC, 28 Dec 1855, no.420

(٧٤) من الأرشيف : Govt.India, 20,26. and 31 Oct 1855, FDPC, 28DEC 1855, no.5 وميرزا جان: حديقة الشهداء، ص ٣٠ - ٤٢ - ٤٨ ، وخادم أحمد فرنجي محلی، واعظ في الجامع، أيضاً ساعد الحكومة، انظر ر. علي: تذكرة العلماء ص ٥٦.

كاهي، كان من جراء خسارة القوة للسنة في أود الشيعية وزيادة النفوذ السياسي للهندوس^(٧٥).

وكان لحركة أميتافي الطائفية أثر في دعم العلماء السنة.

وتسبب الصراع في وجود انشقاق في الطبقة الشيعية الحاكمة، وقام العلماء الأصوليون بدعم أميتافي، ووقف البريطانيون إلى جانب الهندوس^(٧٦).

خاتمة

لقد اختلفت العلاقات الطائفية في أود إبان حكم النواب في القرن الثامن عشر عنها تحت حكم «الشاهات» في منتصف القرن التاسع عشر، وقد سمح أصف الدولة للهندوس مثلما سمح للمسلمين، فسمح للهندوس بالحج إلى إله آباد وسمح للشيعة بالزيارة إلى كربلاء، وكان المغول يعتمدون على تفوق المسلمين لكنهم كانوا يعترفون بحق الهندوس في الوجود، وكان الوسطاء بين الشيوخ الصوفيين ورجال الدين الهندوس قد كسبوا نفوذاً في البلاط الحاكم.

أما العلماء الأصوليون فقد حاولوا اعتبار الهندوس من الوثنين الغير طاهرين، وأعتبروهم طائفة. وكانت السياسة التي اتبعتها علماء الشيعة تجاه السنة تشتمل على استثناء سنة مثل النقشبنديين والتساهليين تجاه السنة الذين كانوا يشتركون في طقوس محرم، وباتجاه التحالف أيضاً مع السنة ضد الهندوس.

والحقيقة أن التحديات ضد الهيمنة الشيعية في أود لم تأت من الهندوس، ولكن منحركات الطائفية السنة مثل تلك التي قام بها كل من سيد أحمد راي بريلوبي وأمير علي أميتافي. وكان إصرار الأصوليين على سب الخلفاء وهو إصرار أكثر حدة بعد استهلال الدولة الشيعية لسلطتها مما أدى إلى ابتعاد كثير من السنة وساعد على إحداث حركة ارتتجاعية، ولقد أفسحت السياسات الشديدة العداء للسنة تجاه الحكومة في أود خلال فترة ١٨٢٠، ١٨٣٠، المجال إلى كل من البريطانيين والضغط الداخلية لكي تصبح أكثر ميلاً إلى الشكل الشرعي وذلك في فترة الـ ١٨٤٠، ١٨٥٠، والـ ١٨٥٠.

وكانت السياسات الأصولية الطائفية سواء في وسط البلاد أو في أطرافها، التي تضمنت قوة كبيرة للراجات من الهندوس والتجار، مفسرة لكثير من الخيبة بالنسبة للسنة في فترة الخمسينات من القرن التاسع عشر.

(٧٥) مشهدی: فیصر التواریخ ص ١١٠.

(٧٦) Fustel: Communal conflict in Delhi PP. 192- 98.

